الاصــلاح والتـحديث فــي العـهد العثمانّي الأخير

م. شاهين سهام عبد الرزاق

جامعة ديالى / كلية التربية المقداد

تاريخ التقديم: ٣٤١ في٢٠١٧/١١/١٦

تاريخ القبول: ٨ في ٢٠١٨/١/٤

الملخص:

امتـدت حـدود الدولـة العثمانيـة قروناً متعـددة علـى رقعـة واسـعة، عبـر قـارات العـالم القـديم، ويحيـا فيهـا اجنـاس مختلفـة وشـعوب متنوعـة واديـان متعـددة، وكانـت الدولـة العثمانيـة مـن القـوى التـي اثـرت فـي مجـرى السياسـة الدوليـة آنـذاك، وعلـى الـرغم مـن المحـاولات المتكـررة مـن بعـض السـلاطين لإعـادة القـوة والهيبـة إلـى جسـد الامبراطوريـة المترامـية، الا انهـا لـم تحقـق إلا شـيئاً وتقـدماً ضـئيلاً. واسـتلهمت الـدعوات الاصـلاحية الاولـى روح الاسـلام ومبادئـه فـي عـلاج الخلـل، ونـادى المصـلحون بضـرورة تطبيـق الشـريعة الاسـلامية داخـل المؤسسـات المختلفـة، لتعـود إلـى سـالف عهـدها المزدهـر، وعلـى ذلـك الاسـاس كانـت المحـاولات الرائـدة تسـتند إلـى الاسـلام ومبادئـه الاساسـية فـي مرحلـة لـم تتوسـع فيهـا الدولـة العثمانيـة فـي الاقتبـاس مـن النمط الاوروبـي، إذ لـم يكـن التفـوق الاوروبـي بالقـدر الـذي يثيـر اعجـاب العثمـانيين ويـدفعهم للاقتبـاس منـه، كمـا ان العثمـانيين كـانوا يعـدون انفسـهم دولـة كبـرى خـلال القـرن السـابع عشـر وبدايـة القـرن الثـامن عشـر، وخـلال تلـك المرحلـة حـاول الكثيـر مـن قـادة حركـة الاصـلاح فـي الدولـة العثمانيـة، القيـام بالاصـلاحات المعتمـدة علـى الـذات لا علـى الاقتبـاس مـن الغـرب، ومـن بيـنهم شـيخ الاسـلام سـعد الـدين افنـدي، عثمـان الثـاني، ومـراد الرابـع وغيـرهم. واقتضـت طبيعـة البحـث تقسـيمه علـى مقدمـة وسـت محـاور وخاتمـة، تنـاول المحـور الاول بدايـة التراجـع العثمـاني منـذ عـام ١٦٨٣، وعلامـات الـوهن التـي تعرضـت لهـا الدولـة العثمانيـة، فضـلاً عـن بـروز التفـوق الاوروبـي خـلال تلـك الحقبـة، وظهـور عـدد مـن المصـلحين العثمـانيين الاوائـل ودورهـم فـي بـدايات العمليـة الاصـلاحية. وكـرس المحـور الثـاني لبحـث السـبل التـي ارتاهـا سـليم الثالـث فـي الاصـلاح، والتـي ادت إلـى اعدامـه فـي نهايـة المطـاف، وخصـص المحـور الثالـث لدراسـة عهـد السـلطان محمـود الثـاني فـي مرحلـة مهمـة مـن مراحـل القـرن التاسـع عشـر، وذلـك بظهـور عـدد مـن الشخصـيات البـارزة فـي مصـر والعـراق، فضـلاً عـن بعـض التغيـرات الاوروبيـة. وتطـرق المحـور الرابـع إلـى التنظيمـات العثمانيـة، وجهـود عـدد مـن العثمـانيين وتـأثرهم بالثقافـة الغربيـة، الامـر الـذي إلـى صـدور عـدد مـن المراسـيم (الفرمانـات) المهمـة، منهـا خـط شـريف كولخانـة فـي ١٨٣٩ ومرسـوم همـايون عـام ١٨٥٦، وعـدد مـن القـوانين منهـا قـانون الاراضـي الصـادر فـي ٢١ نيسـان ١٨٥٨ وقـانون الطـابو الصـادر فـي ١٤ كـانون الثـاني ١٨٥٩، فضـلاً عـن قـانون الولايـات سـنة ١٨٦٤ ودروهـا فـي تثبيـت الاسـس الاصـلاحية الجديـدة. أمـا المحـور الخـامس؛ فتنـاول عـرض مـوجز لنتـائج حركـة التنظيمـات العثمانيـة، وتأثيرهـا فـي الولايـات العربيـة لاسـيما منهـا ولايـة بغـداد، وكـرس المحـور السـادس (الاخيـر) لتنـاول ملامـح تجربـة مـدحت باشـا الاصـلاحية فـي العـراق، واهـم اعمالـه الاداريـة فـي ولايـة بغـداد، فضـلاً عـن اعطـاء عـرض مـوجز للمتغيـرات اللاحقـة لعهـد مـدحت باشـا حتـى بـدايات القـرن العشـرين. وفـي الخاتمـة حاولنـا عـرض اهـم الاسـتنتاجات التـي التوصـل اليهـا مـن خـلال محـاور البحـث، تطلـب البحـث الرجـوع إلـى العديـد مـن المصـادر ذات العلاقـة شـملت عـدد مـن البحـوث والرسـائل الجامعيـة فضـلاً عـن الاسـتعانة بشـبكة المعلومـات الدوليـة (الانترنـت)، ويمكـن التعـرف على تلك المصادر من خلال هوامش البحث او قائمة المصادر.

الكلمات المفتاحية: الاصلاح، التحديث، العهد العثماني.

Reform and modernization in the Ottoman Empire

M.Teacher Shahin Siham AbdulRazaq
University of Diyala - College of Education / Al-Miqdad
shaheensuham@yahoo.com

Abstract:

The boundaries of the Ottoman Empire span several centuries on a vast expanse, across the ancient continents of the world, with different races, diverse peoples and multiple faiths, and the Ottoman Empire was one of the forces that influenced the course of international politics at the time, and then it was weakened by the political balance and administrative, which was governed by the laws of the sultan between the central authority on the one hand, and those who carry out that policy from Baswat and Pikatagwat... and others on the other hand.

The weakness is growing in state institutions and despite repeated attempts by some sultans to restore power and prestige to the body of the sprawling empire, it has achieved little or nothing.

The first reformist calls were inspired by the spirit and principles of Islam in remedying the imbalance, and the reformers advocated the necessity of applying Islamic law within the various institutions, to return to its prosperous past, and on that basis the pioneering attempts were based on Islam and its basic principles at a stage where it did not expand The Ottoman Empire in the European-style quotation, as the European superiority was not as impressive as the Ottomans and pushed them to quotation, and the Ottomans were preparing themselves a major state during the seventeenth century and the beginning of the eighteenth century, and during that stage many of the leaders of the movement tried Reform in the Ottoman Empire, doing self-reliant reforms not on the quotation from the West, including Shaykh al-Islam Saad Eddin Effendi, Osman II, Murad IV and others.

The nature of the research required it to be divided into an introduction, six axes and a conclusion, the first axis addressed the beginning of the Ottoman retreat since 1683, and the signs of weakness experienced by the Ottoman state, as well as the emergence of European supremacy during that era, and the emergence of a number of early Ottoman reformers and their role in the beginnings The reform process.

The second theme was devoted to the ways in which they showed Salim III in the reform, which led to his eventual execution, and the third axis was devoted to the study of the reign of Sultan Mahmud II at an important stage of the nineteenth century, with the appearance of a number of eminent personalities in Egypt and Iraq, as well as some changes of Europe.

The fourth axis touched upon the Ottoman organizations, the efforts of a number of Ottomans and their influence on Western culture, which led to the promulgation of a number of important decrees (orders), including the line of Sharif kolkhanf in 1839 and the decree of Humayun in 1856, and a number of laws including the Land Law of 21 April 1858 The law of the Tarabo of 14 January 1859, as well as the state law of 1864, and its interpretation in the stabilization of the new correctional grounds.

The fifth axis dealt with a brief presentation of the results of the movement of Ottoman organizations, and its influence in the Arab States, especially the state of Baghdad, and devoted the sixth (last) to the features of the Iraqi reformist Midhat Pasha, the most important administrative works in the state of Baghdad, as well as giving a brief presentation Of the subsequent changes to the reign of Medhat Pasha until the early 20th century.

In conclusion, we tried to show the most important conclusions reached through the research hubs, seeking reference to several related sources including a number of research and university messages as well as the use of the International Information Network (Internet), and these sources can be identified through the margins Search or list of sources.

Key Word: reform, modernization, Ottoman era.

الخلفيات التاريخية والنموذج العربي:

بدأ التراجع العثماني منذ عام ١٦٨٣ بسبب الهزائم المريرة التي منيت بها الدولة العثمانية وتحالف القوى الاوروبية ضدها. [١] واخذت علامات الضعف والتراجع تتضح في تلك الدولة ابان القرن الثامن عشر، متمثلة في الفساد الاداري للحكومة، وتدهور النظام الاقتصادي، واستمرار الثورات في مختلف الولايات العثمانية [٢]، ومع ضعف المركز، ازداد تحكم الاقطاعيين والامراء والشيوخ المحليين والولاة، وساد نظام شبه اقطاعي في العديد من الولايات العثمانية. [٣]

بدأ التفوق الاوروبي واضحاً في مجالات عديدة، ابرزها التقدم الفكري والتطور الاقتصادي، هذا فضلاً عن النجاحات التي احرزت في حقول السياسة والاجتماع، في حين بقت العقلية العثمانية جامدة دون أي نشاط يخرجها من نطاق التقليد. وازاء تلك المتغيرات ظهرت جماعتان من المصلحين كانوا يؤمنون بانه اذا لم يستفيق المجتمع العثماني عاجلاً ام اجلاً، فأنَّ الدولة ستنهار عما قريب امام متغيرات الواقع انذاك، فاعتقدت الاولى ان العلاج يكمن في تطبيق الانظمة الاسلامية واستلهام روح الاسلام ومبادئه في علاج الخلل، اما الثانية فقد ارتأت ان معالجة الضعف في الدولة العثمانية يستلزم تبني الانظمة الاوروبية المعاصرة، والدعوة إلى ضرورة الاستفادة من التقدم الاوروبي، والاخذ باسباب حضارتهم لضمان المحافظة على وحدة الدولة وصون حياتها. [٤] ويتضح ان النجاح الذي حققته اوروبا انذاك قد رجح كفة الجماعة الثانية، واصبحت حركة الاصلاح تستهدف تطبيق الانظمة الاوروبية الحديثة في مجالات الحياة المختلفة.[٥] في الوقت الذي اخذ الاقتصاد الاوروبي يؤثر بنحوٍ واضح في الطوائف الحرفية في عدد من الولايات العثمانية التي لم تستطيع منافسة البضائع الاوروبية، فضعفت وافتقر اصحابها وتضرر الاقتصاد المحلي، وتعرض إلى ازمات اقتصادية بسبب تلك المنافسة.[٥]

كان على المصلحين الاوائل أن يبدأوا من حيث التمكن للدفاع عن ممتلكات الدولة، بعد ان منيت الجيوش العثمانية بهزائم مريرة امام الخطط والاسلحة الاوروبية الحديثة خلال تلك الحقبة، وهكذا انحصرت العمليات الاولى بالاصلاح العسكري، رغبة في الحفاظ على الكيان التاريخي من الاخطار التي تعترضه. [٧]

ومما يجب الاشارة اليه، ان طليعة الافكار التي وصلت إلى عدد من الولايات العثمانية في بدأ حركة الاصلاح في نهاية القرن الثامن عشر، اشتملت على مبادئ الثورة الفرنسية (١٧٨٩) التي كانت من ابرز الاحداث الاوروبية التي اثرت في العالم الاسلامي

انذاك، وقد انتقلت تلك المبادئ إلى البلدان العثمانية بواسطة البعثات العسكرية الفرنسية، التي وصلت إلى القسطنطينية لغرض المساعدة في تجديد الجيش العثماني، فبعد أن تعلم عدد من الضباط العثمانيون اللغة الفرنسية، راحوا يطالعون الكتب السياسية الفرنسية إلى جانب دراستهم العلوم العسكرية، وكان للبعثات الدبلوماسية اما اوروبية ام القسطنطينية ام عثمانية تمثل الحكومة في العواصم الاوروبية، وعلى الاخص منها في باريس الداور الفاعل في نقل مبادئ الحرية والعدالة والمساواة والوطنية إلى البلدان العثمانية. [٨]

لم تكن العلاقات العثمانية–الاوروبية في صراع او عداء طيلة الحقبة التي سبقت التنظيمات العثمانية، بل كانت هناك علاقات سلام وتفاهم وتفاوض ومواثيق وتجارة وعمل واقامة غير ذلك تربط الطرفين، وعليه فان بروز التحديث والاصلاحات العثمانية خلال القرن التاسع عشر، لا يعني انحصارها في ذلك القرن لا غير، فقد اشار بعضهم إلى ظهور إشارات واضحة لبعض الاستخدامات الاوروبية في بناء المدافع والسفن، ووضع الخرائط وفن العمارة والهندسة خلال القرون الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر،[٩] في الوقت الذي يحددها البعض الاخر (حركة الاصلاحات) بعهد السلطان مراد الرابع (١٦٢٣–١٦٤٠). [١٠]

بمجيء السلطان أحمد الثالث (١٧٠٣–١٧٣٠) تبنت الحركة الاصلاحية المفهوم الغربي، وبدأت مظاهر الثقافة والحضارة الغربيتين تتسللان إلى الدولة العثمانية بصعوبة، وسط التحديات القاهرة للقوى الرجعية القديمة، والتي كانت الانكشارية على رأسها، وتجمع حول السلطان والصدر الاعظم (ابراهيم باشا) عدد من المثقفين المؤمنين بتلك التوجيهات، وقد حث السلطان على البدء باصلاحات عسكرية، تشمل سلاح المشاة، وسلاح البحرية، وصناعة السفن، وبدأ إبراهيم باشا بارسال البعثات إلى باريس وفينا،[١١] وشغف ذلك العهد ايضاً بتقليد الغرب ومحاكاة الحياة الاوروبية، من تشييد القصور الفخمة، والميل إلى الحياة المترفة. وادت تلك السياسة إلى ظهور نوع من الاستياء وعدم الرضا تجاه السلطان وبطانتهِ، كما وصفت بعض المصادر العثمانية عهد السلطان احمد الثالث بعصر زهور شقائق النعمان، تعبيراً عن الاخذ بالمظهر دون الجواهر، فضلاً عن الاهتمام الزائد بتلك الزهور في انحاء واسعة من العاصمة العثمانية. [١٢]

ازداد الاستياء العام في استانبول خلال عقد الثلاثينات من القرن الثامن عشر، تزعمه قادة انكشاريون، الامر الذي ارغم السلطان احمد الثالث على التنازل عن عرش الدولة. وفي خضم تلك الاحداث انشأت اول مطبعة باللغة التركية، بعد حظر استمر على الطباعة بالعربية والتركية حتى القرن الثامن عشر، وذلك بسبب معارضة رجال

الدين والجماعات المحافظة، وكان للمصلح ابراهيم متفرقة الدور البارز في ذلك المجال، فضلاً عن بث الوعي الفكري لمعرفة التطورات الخارجية، وتوضيح موقع الدولة العثمانية منها، واستمرت جهود ابراهيم متفرقة خلال حكم السلطان محمود الاول (١٧٣٠-١٧٥٤) في توضيح اهمية العلوم والفنون للشعوب العثمانية، والمطالبة باصلاح القوات المسلحة بعد معرفة ما كان في ميادين اوروبا من تطور في ذلك المجال. [١٣]

خطط سليم الثالث في التحديث:

سبق السلطان سليم الثالث سلاطين اهتموا في اصلاح مجالات محددة في عاصمة الدولة العثمانية، اذ عرف السلطان مصطفى الثالث (١٧٥٧-١٧٧٤) باهتمامه باصلاح الجيش والمالية، وكان طبيعياً ان تتجه انظار المصلحين إلى الجيش، اولاً وذلك لما يحتله من مكانة متقدمة في دولة توسعت وارست دعائم كيانها عن الحروب، كما الهزائم المتكررة للجيش امام القوات الاوروبية، والتي تمت الاشارة اليها سابقاً، قد نبهت السلاطين إلى ضرورة الاهتمام بالجيش واصلاح احواله، كما سارت الحركة الاصلاحية في عهد السلطان عبدالحميد الاول (١٧٧٤-١٧٨٩) سيراً بطيئاً.[١٤] الا انها انتعشت ابان حكم السلطان سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧) الذي اصدر في عام ١٧٩٢-١٧٩٣ سلسلة اوامر عرفت بـ(نظامي جديد) تتصل بادارة الولايات والضرائب، [١٥] وكما تطور في عهده التعليم العسكري، على النمط الغربي، [١٦] وامتدت الاصلاحات لتشمل مالية الدولة ونظمها الادارية. ومن المفيد أن نشير إلى أن تاريخ اعتلاء سليم الثالث العرش العثماني، تزامن مع اندلاع شرارة الثورة الفرنسية من جهة، وتعرض الدولة العثمانية للاطماع الروسية من جهة ثانية، وكانت الدولة العثمانية قد منيت حينها بخسائر وهزائم متكررة وخطيرة، هددت الوجود العثماني برمته. [١٧]

ركز السلطان سليم الثالث في إعادة تنظيم الجيش والبحرية، ولذلك اسس عدد من المدارس العسكرية، مستعيناً بمدربين جلهم من الفرنسيين، الذين كان لهم تأثير في المجتمعات العثمانية، من خلال نشر افكار الثورة، وتوضيح المبادئ الحرة في الحرية والاخاء والمساواة، كما وافق السلطان سليم الثالث على تشكيل فرق عسكرية عثمانية جديدة، دون الاعلان عنها تخوفاً من اثارة الانكشارية، التي تقف حائلاً دون الاصلاح، وتمكن ايضاً من انشاء عدد من المعاهد العالية والفنية الحديثة، التي تُعدّ الاولى من نوعها في البلاد،[١٨] وبهذا يعد السلطان سليم الثالث رائد الحركة الاسلامية في الدولة العثمانية، وقد شهدت عهده محاولات اصلاحية مهمة في ميدان التعليم والجيش، إذ اسس

مدرسة لتدريس العلوم الحديثة، فضلاً عن انشاء جيش جديد (نظاماً جديداً)، ليحل محل القوات الانكشارية التي اصبحت عامل ضعف وعدم استقرار في الدولة. [١٩]

انتكست حركة التحديث التي قادها سليم الثالث، إذ ثار الجيش الانكشاري، وتمكن من تعطيلها في اوائل عام ١٨٠٧ متهماً على انها (بدعة غير شرعية)،[٢٠] وافتى شيخ الاسلام الذي نصب حديثاً (محمد عطا الله)، والذي قاد الرجعية والانكشارية ضد العرش بعزل السلطان سليم، في نهاية ايار ١٨٠٧ ثم قتل بعد حوالي سنة واحدة من ذلك، وتنصيب مصطفى الرابع محله، الذي امر باعدام سليم الثالث، ولم تمضِ مدة طويلة من الزمن، حتى ثارت ثورة معاكسة، نتج عنها اعتقال السلطان مصطفى (١٨٠٧–١٨٠٨) وابعاده عن الحكم، وتنصيب محمود الثاني محله (١٨٠٨–١٨٣٩).[٢١]

محمود الثاني واصلاح الدولة (١٨٠٨–١٨٣٩)

تولى محمود الثاني مقاليد الدولة العثمانية وهو في الرابعة والعشرين من عمره، وكان يمتلئ حماس ورغبة في الاصلاح والنهوض، ورأى أنَّ نجاح الاصلاح في دولته يجب أن يكون شاملاً، ولا يقتصر على جانب واحد، لذا عزم على ازالة النظم القديمة لكي لا تعترض طريق الاصلاح. [٢٢]

تضمن عهد السلطان محمود الثاني مرحلة صعبة من تاريخ القرن التاسع عشر، إذ عاصرته متغيرات اوروبية، وظهور رجالات كبار في مصر والعراق وتونس ولبنان والمغرب، في الوقت الذي تفاقمت فيه مخاطر الوهابيين في نجد، أما في المجال الداخلي، لاسيما في عاصمة الدولة، فقد كانت الثورات الانكشارية وتمرداتهم من اخطر المشاكل التي تواجه العمليات الاصلاحية، واعتقد السلطان الجديد أنَّ ما يجعل الدولة العثمانية في مكانة مساوية او مقاربة للدول الاوروبية، هو استمرار عملية الاصلاح التي بدأها السلطان سليم الثالث، في الوقت الذي لا يمكن فيه اجراء تلك الاصلاحات قبل ان يتم التخلص من معارضي ذلك الاتجاه الاصلاحي، وفي مقدمتهم الانكشارية التي لم تعد تصلح لمهام الجيش الحديث واخذ يتحين الفرصة للقضاء عليهم.[٢٣] واول عمل اصلاحي ظهر في عهد السلطان محمود الثاني هو تحسين المدارس العسكرية الجديدة التي اسسها سليم الثالث، والتي كانت تهدف إلى تدريب الضباط والجنود بالاساليب الاوروبية الحديثة، وذلك لتشكيل قوات جديدة تقف بوجه الانكشارية، [٢٤] كما اتخذ السلطان عدة اجراءات في ذلك الخصوص، منها تنصيب قادة مخلصين لاهدافه، والقضاء على العناصر البيروقراطية، والحصول على رضى طبقة العلماء، فضلاً عن اصدار مرسوم خاص

اشتمل على عدة مواد اصلاحية انسجمت مع حدود الشريعة الاسلامية، حظيت او نالت تأييد الرأي العام لتلك الاصلاحات. [٢٥]

كالعادة تمرد القادة الانكشاريون لتحطيم البرنامج الاصلاحي الوقوف ضده، الامر الذي دعا السلطان محمود الثاني للاستعانة بافراد الجيش الجديد مؤيداً من علماء الدين، إذ استطاع الانتصار على الانكشارية في معركة الواقعة الخيرية في حزيران عام ١٨٢٦، وفي ١٧حزيران من العام نفسه تقرر الغاء الانكشارية وانظمتها في جميع الولايات العثمانية، وحلت محلها تنظيمات الجيش الجديد، [٢٦] وبدأ السلطان في عام ١٧٢٨ بارسال بعثات إلى اوروبا، لغرض اعداد المدرسين للمدارس وضباط الجيش، واتجه لتوسيع المدارس التقنية العليا، وانشأ عدد من المدارس الحربية والطبية،[٢٧] فضلاً عن المدارس الابتدائية والثانوية، كما ارسل حوالي مئة طالب للدراسة في اوروبا، وظهرت في عهده جريدة (تقويم الوقائع) سنة ١٨٣١ وهي اول جريدة رسمية في البلاد العثمانية.[٢٨]

لم تقتصر اصلاحات السلطان محمود الثاني على مجالٍ معينٍ، فقد شملت اصلاحاته الادارة والتعليم والصحة والعمران والزراعة، وبدأ بتنظيم الادارة المركزية وعمل على فرض سيطرة الحكومة المركزية ضمن الولايات، وشكل الادارة المركزية الجديدة عبر نظارات (وزارات) وزعت عليها شؤون الدولة باسلوب حديث، واصبح الصدر الاعظم يعرف باسم (باش وكيل) ومنح صلاحيات واسعة في اطار الجهاز التنفيذي للدولة، وتمكن ايضاً بمساعدة جيشه من اخضاع مناطق لسلطة الدولة، منها على سبيل المثال منطقة كردستان والانتصار على بعض امرائها، [٢٩] كما قضى على المماليك في بغداد سنة ١٨٣١، وعلى الحكم الجليلي (المحلي) في الموصل سنة ١٨٣٤، هذا فضلاً عن إنهاء نفوذ وحكم عدد من الاسر والحكومات في مناطق مختلفة في البلاد العربية. [٣٠]

لم تتوقف اجراءات محمود الثاني في الشؤون الداخلية، بل اجرى تغيرات استهدفت توجيه المجتمع نحو الغرب من خلال الزي الذي يرتديه موظفو الدولة، وادخل في المجتمع المسلم بعض العادات والتقاليد الاوروبية، وكان من أخطر الأمور التي اتخذها السلطان محمود هو تقليص صلاحيات علماء الدولة وفقهائها، إذ سحب منهم إدارة البلديات والاقضية والمدارس، وابقى تحت ادارتهم المدارس التي تدرس الدين ومحاكم الحقوق المدنية، [٣١] وعلى أية حال فإنَّ كلَّ تلك الاجراءات الاصلاحية لم تنعكس على الادارة الحكومية ومؤسساتها في الايالات إلا قليلاً، إذ ظلت الادارة على حالها تقريباً في العديد من الايالات، [٣٢] دون أي تقدم ملموس، لانها كانت امراً غير

عملي عند التطبيق، خاصة في الايالات النائية كأيالة بغداد، التي لم يصبها من الاصلاحات سوى قدرٍ يسير، ولم يكن العراق بأقسامه الثلاث (الموصل وبغداد والبصرة) قد تأثر بصورة مباشرة باصلاحات محمد علي في مصر والسلطان سليم الثالث او السلطان محمود الثاني في استانبول في الوقت الذي خضع لنفوذ الهند الشرقية البريطانية،[٣٣] وبقي علي رضا باشا اللاظ منذ ١٨٣١ وزيراً على بغداد، طيلة عهد السلطان محمود الثاني، واستمر حكمه حتى عام ١٨٤٢ دون ان تأخذ الدولة بعي الاعتبار مدى كفاءة ذلك الوزير الذي لم يستطع احكام السيطرة دون ان تأخذ الدولة بعين الاعتبار مدى كفاءة ذلك الوزير، الذي لم يستطع احكام السيطرة على القبائل والتمكن من ضبط المدن، إلا انه هناك من عُدَّ خطوة ادخال نظام المختارين، الذي طبق في العاصمة بغداد سنة ١٨٢٩ خطوة على طريق الاصلاح الاداري في ايالة بغداد، واتخذها دليلاً على تسرب اصلاحات محمود الثاني إلى بغداد. [٣٤]

مهما يكن من امر حركة الاصلاح في عهد السلطان محمود الثاني ومدى انعكاسها على ايالات الدولة، فان هناك حقيقة يجب الاشارة اليها، وهي أنَّ عهد السلطان محمود الثاني شكل القاعدة التي ارتكزت عليها ما عرف بـ(التنظيمات العثمانية) التي بدأت مع اعتلاء خلفه السلطان عبدالمجيد لعرش الدولة، وهناك من يشير إلى أنَّ السلطان محمود الثاني قد اعد ما يعرف في التاريخ العثماني بحركة التنظيمات "دستوراً للحكام في الولايات"،[٣٥] وتلك التنظيمات هي حركة اصلاحية على النمط الاوروبي امتداداً لما قام به السلطان من اجراءات، الا انه توفي قبل اعلانها في عام ١٨٣٩. [٣٦] وفي هذا الصدد يشير احد المؤرخين البريطانيين إلى أنَّ السلطان محمود الثاني اوشك على اصدار مرسوم شامل للاصلاح كمرسوم كولخانة، الذي صدر بعد وفاتهِ، الا إنَّ الموت عاجله ولم يمكنه من تحقيق ذلك. [٢٧]

التنظيمات العثمانية:

بعد وفاة السلطان محمود الثاني خلفهُ ابنه عبدالمجيد (١٨٣٩-١٨٦١)، وهو دون سن الثامنة عشر من عمره، ويصفه المؤرخون بأنه أول من تعلم الفرنسية بطلاقة من بني عثمان، وتلقى حداثته الثقافة الغربية والشرقية، ولم تكن له سطوة أبيه ولا دهاءه الواسع، إلا أنَّه كانت لديه الرغبة في استكمال ما بدأه ابوهُ من اصلاحات على النهج الذي التزم به. [٣٨]

تأثر السلطان عبدالمجيد بعدد من المصلحين، في مقدمتهم وزير الخارجية مصطفى رشيد باشا، الذي يعد من رجال الاصلاح وتلميذاً للسلطان محمود الثاني، فلما

بلغ مصطفى رشيد باشا خبر وفاة السلطان وهو (مصطفى باشا) في لندن، إذ كان سفيراً للدولة العثمانية هناك، غادرها على الفور، وابلغ السلطان الجديد بطلبات ورغبة ابيه، التي كان قد أعدها بدون ان تسمح له الظروف ليعلن عنها، فما كان من السلطان عبدالمجيد الا أنْ يعلن موافقته على تلك التنظيمات، فأعلن مصطفى باشا في ٣تشرين الثاني ١٨٣٩ فرمان التنظيمات في ميدان قصر كولخانة (قصر الورد) امام كبار رجال الدولة والشعراء والسفراء، وحرص البيان على اضفاء الصبغة الاسلامية على اجراءاته والعمل على احياء الدين والدولة، [٣٩] وعدَّ بعضهم أنَّ حركة الاصلاحات الحديثة في الدولة العثمانية قد بدأ بصدور مرسوم خط شريف كلخانة. [٤٠]

تضمنت التنظيمات العثمانية المساواة بين رعايا الدولة، والمحافظة على حياتهم واملاكهم، وذلك لمنع تدخل الدول الاوروبية في شؤون الدولة، بحجة حماية الجماعات والاقليات غير الاسلامية في المجتمع. كما ودعت التنظيمات إلى وجود محاكمات علنية، ومطابقتها للوائح، والغاء مصادرات الاموال والاملاك ما لم يقرر ذلك بقانون قضائي من المحاكم المختصة، والقضاء على نظام الالتزام القديم الذي اضر بالعلاقة بين الدولة والرعية، [٤١] وايجاد نظام ثابت للضرائب، فضلاً عن تحديد مرتبات الولاة والموظفين، وعدم تجاوز الموظف الحكومي حدود الصلاحيات الممنوحة له قانونياً. [٤٢] كما شملت التنظيمات اصلاح التعليم في جميع مراحله، وجعل التعليم اجبارياً في المدارس الاولية دون تفرقة بين الجنس والدين، كما انفصلت مدارس الحكومة من اشراف العلماء، ووضعت باشراف وزارة المعارف ذات الصبغة العلمانية. [٤٣]

وصدرت في اعقاب ذلك الفرمان مجموعة من القوانين يهدف البعض منها لتنفيذ توصيات ذلك الفرمان، وادت إلى حدوث تغيرات كثيرة منها انفصال المحاكم المختلطة التي تقبل الشهادة من المسلمين والمسيحيين على حد سواء، كما صدر قانون تجاري على نمط القانون التجاري الفرنسي،[٤٤] ومن ناحية أخرى، استمر المسلمون يؤدون الخدمة العسكرية وحدهم دون شمول الشرائح المسيحية من المجتمع بذلك، حتى صدر قانون سنة ١٨٥٥ الذي وسع نطاقه الخدمة العسكرية لتشمل كل رعايا الدولة دون استثناء، إلا أنَّ المسيحيين اعترضوا على ذلك القانون، وعلى أدائهم للخدمة العسكرية في الجيش العثماني، وهذا الامر هو الذي وجد تأييداً من جانب الدول الاوربية، حتى اضطرت الدولة العثمانية امام الضغط الاوربي الى اعفاء المسيحيين من الخدمة مقابل ضريبة عرفت باسم البدل العسكري [٤٥].

ومما يجب الاشارة إليه، ان قصور الخطوات الاصلاحية التي وردت في مرسوم كولخانه ، وما لحقه عن بلوغ اهدافها في الاصلاح ، كان امر طبيعياً ، إذ ليس من اليسير اصلاح نظام حكم وجهازه الاداري دام على وتيرة واحدة لقرون طويلة دون ان تتخذ الخطوات الاصلاحية شيئاً فشيئاً، ولمدة غير قصيرة مه تهيئة باشوات اكفاء يعملون على تنفيذ الاصلاحات في ولاياتهم بحكمه ونشاط، واذ اخدنا ايالة بغداد على وجه الخصوص فأنَّ الكثير من الباشوات ممن سبقوا الوالي مدحت باشا لم يؤشر عنهم اي عمل اصلاحي قاموا بتنفيذه ، فضلاً عن محدودية مدد حكمهم [٤٦] .

كان البيان الاصلاحي الثاني، الذي حرر في عهد السلطان عبد المجيد هو مرسوم (فرمان) همايون الذي صدر في ١٨ شباط ١٨٥٦، وعلى نفس اهمية الفرمان السابق ، وذلك لكسب الرأي العام الاوربي ، وعلى ما يبدو ان تفاعلات حرب القرم (١٨٣٥-١٨٥٦) التي خاضتها الدولة العثمانية ضد روسيا كان لها الاثر في اصدار مرسوم سنة ١٨٥٦ الاصلاحي [٤٧] ، فبعد أن امتنع السلطان عبد الحميد عدم الموافقة على طلب روسيا، لحماية طائفة المسيحيين الارثودكس من رعايا الدولة العثمانية، شنت روسيا الحرب عليها ، وقد وقفت كل من بريطانيا وفرنسا إلى جانب العثمانيين في تلك الحرب بسبب مصالحهما في المنطقة ، فما كادت الحرب تضع اوزارها حتى اتخذ العثمانيون في تلك الحرب، ذلك المرسوم، بناء على طلب الحكومتان لتطبيق مبدأ المساواة بين رعايا الدولة العثمانية [٤٨]. بحث مرسوم (الفرمان) الجديد موضوع حقوق المساواة الخاصة بالرعايا غير المسلمين في الدولة العثمانية ، كما نادى بضرورة تولي غير المسلمين مناصب في الدولة العثمانية ، وكفل المرسوم حرية العبادة وحرية انشاء المدارس، فضلاً عن اصلاح نظام الضرائب، والعمل على اصلاح المحاكم ، والمالية والزراعة والتجارة، وغيرها من الحقول [٤٩] .

هكذا نجد أنَّ مرسوم همايون يساوي بين جميع رعايا الدولة ويعدهم أفراد متساوون امام القانون العثماني، واعترف بحاجة الدولة إلى اصلاحات شاملة، مؤكداً ان الخطوات الفعلية ستتخذ لإعادة تنظيم الشرطة والمحاكم، وإدارة الولاية وجمع الضرائب بالطريقة المباشرة، واصلاح التجارة الداخلية والمواصلات، فضلاً عن تنظيم الاحوال المالية بواسطة ميزانية سنوية، وكذلك بواسطة تأسيس بنوك [٥٠].

قوّى مرسوم همايون المشاعر القومية لدى رعايا الدولة غير المسلمين، وهذا الامر هو الذي ادى بعد ذلك إلى التأثير في وحدة الدولة، ووفر غطاءً قانونياً لحركة التبشير المسيحية في مختلف الولايات العثمانية [٥١] . ولا بد من الاشارة إلى أنَّ الدولة

العثمانية لم تستطع ان تضع تلك القوانين الاصلاحية موضع التنفيذ في ولاياتها المختلفة ، إذ بقت معظمها، لا سيما النائية منها بعيدة عن روح الاصلاح الحقيقي ، وقد يعود السبب إلى المركزية التي فرضتها والقوانين الصادرة انذاك ، او بسبب عدم اهتمام الدولة بايجاد الوسائل اللازمة لتنفيذ تلك القوانين ، كما أشار بعضهم إلى أنَّ المشكلة ليست بالقوانين والانظمة، بقدر ما هي مشكلة ايجاد من هو المؤمن بتلك القوانين، ويعمل باخلاص، وبإدارة صادقة لتنفيذها [٥٢].

وبالجدير بالذكر أنَّ صدور خط شريف همايون فسح المجال لصدور قوانين اخرى في الدولة العثمانية، اكد بعضها على نفس السياق الاصلاحي المنشود خلال تلك الحقبة ، وكان من اهمها قانون الاراضي الصادر في ٢١ نيسان ١٨٥٨ [٥٣] ، وقانون الطابو الصادر في ١٤ كانون الثاني ١٨٥٩ ، ثم صدر قانون الولايات سنة ١٨٦٤ ، وجاءت معظم تلك القوانين وغيرها لتثبيت اسس جديدة للنظام العثماني الاصلاحي ، ولم يستطع كلا القانونين الاولين حل مشكلات الاراضي ولاسيما في الولايات العثمانية، فصدرت قوانين جديدة أخرى لتفسيرها أو تغييرها [٥٤] .

ظهرت عوامل خارجية في ستينات القرن التاسع عشر ساعدت على تطور التجارة العراقية، وذلك بسبب المواصلات الحديثة في عام ١٨٦٢ والتطور النسبي في السياسة التجارية العثمانية من خلال تخفيض التعريفة الكمركية على الصادرات، بعد عقد اتفاقية تجارية مع بريطانية عام ١٨٦١، قلصت على اثرها الرسوم الكمركية المفروضة على الصادرات كما حددت الواردات [٥٥]، وساهم التطور الذي حصل في ميدان النقل والمواصلات في زيادة النشاط التجاري، وتطبيق نظام الضرائب الكمركية بعد فترة من الركود والكساد اتسمت بها التجارة العراقية ، كما حظيت الزراعة باهتمام السلطات الحكومية، بعد تشريع قانون الاراضي لسنة ١٨٥٨ولو ان تطبيق ذلك القانون تاخر حتى ولاية مدحت باشا ، الا ان مظاهر اهتمام الولاة بالزراعة بدت واضحة من خلال انشاء السدود وفتح الجداول وتطويرها وامور وتفيد النشاط الزراعي [٥٦].

موجز نتائج حركة التنظيمات:

لم تحقق التنظيمات العثمانية جميع التطلعات التي كان يعول عليها الاصلاحيون، في الوقت الذي لم تجد فيها الشعوب العثمانية المسلمة ما كانت تسمعه

عن مزاياها ، كما انها لم تجلب الخير للدولة، بل كانت النافذة التي استطاعت من خلالها الدول الاوربية التدخل في الشؤون العثمانية، والتأثير عليها بحجج مختلفة، كان بعضها متستراً بمسائل الاصلاح المالية والاقتصاد ، ولم يفرق الاصلاحيون في محاولتهم احياء الدولة باصلاح الجيش وادخال الحياة الدستورية وتطوير التعليم وتنظيم الاقتصاد، بين ما يجب ان ينقل من الدول الاوربية وما يجب المحافظة عليه من اعراف وتقاليد قومية، لذلك ادخلت إلى الميدان الاجتماعي اصلاحات من قبل الترف الحضاري، مثل استخدام الملابس الاوربية وطبيعة الاثاث المستخدم وغيرها من وسائل استهلاكية دون الاهتمام بادخال الصناعات الثقيلة والمشروعات الانتاجية، التي تؤسس اللبنة الاساسية في نهوض الدولة، وفضلاً عن ذلك كله ، فقد ظهرت معارضة لتلك الحركة في مناطق مختلفة من الدولة العثمانية، ووضعوا في طريقها العقبات باعتبارها اهدافاً ورغبات اجنبية، جاء بها المسيحيون الذين يعملون لصالح بلدانهم اولاً واخيراً الامر الذي عكس ريبة البعض من الجماهير العثمانية على اعتبار ان اولئك الاجانب اعداء الاسلام [٥٧] .

ويشير الدوري الى أثر تلك الاصلاحات على البلاد العربية، مؤكداً انها جاءت في ظروف لم تخل من ضغوط الدول الاوربية ولمصلحتها احياناً ، كما جاءت ببعض البدع، التي لم تتقبلها بعض الفئات المجتمع العربي، فضلاً عن انها لم تنفذ بصورة جدية في اقسام عديدة من البلاد. في الوقت الذي احدثت نوعاً من القلق في الاوساط المحافظة ، فكانت البلاد العربية في النصف الاول من القرن التاسع عشر تطغى الصيغة الدينية عليها، سيطرت على ملكيات الاراضي عن طريق ما يسمى (اراضي الوقف)، وكذلك ظهور طبقة كبيرة من الوجهاء الذين يتمتعون بالنفوذ السياسي والاجتماعي في الولايات، ولكن عوامل جديدة اثرت على الوضع لاحقاً في مقدمتها تحديث الادارة وقانون الاراضي وحركة التجارة، فضلاً عن الاتجاه إلى المركزية ادت إلى تقليص دور المتنفذين في الادارة والوقف، الذي برزت فيه نخبة من خريجي المدارس الجديدة بعيدة عن فئات المجتمع من ضابط واداريين، كان اغلب اولئك الخريجين ممن له اطلاع عن بعض الجوانب الحضارية الغربية[٥٨]، وهذا ما سيتم التطرق اليه لاحقاً.

واذا ما اخدنا اثار تلك القوانين الاصلاحية على ايالة بغداد فان للوضع الجغرافي والتركيب السكاني فيها اثر في بطء ظهور نتائج تلك الاصلاحات، وفي هذا الصدد يشير لونركيك إلى ان تلك الاصلاحات التي حلت في الحقيقة الراي الغربي في الحكومة محل الرأي التركي، لم تتسرب إلى العراق الا ببطء، ولم تنتج هناك نتاجاً يتفق وعظم شأن المبادىء التي دعت لاجرائها [٥٩] وقد اعتبرت بغداد بسبب امتدادها الواسع (من

الموصل حتى البصرة) وتجمعاتها العشائرية من اصعب الايالات العثمانية على الحكومة المركزية، وعليه كرست الجهود قبل عام ١٨٦٩ لاخضاع العشائر، التي تؤلف الغالبية العظمى لسكانها، وقد استمرت تلك المحاولات منذ عام ١٨٣١، الامر الذي اعاق اجراء الاصلاحات بصورة يسيرة في معظم اجزائها ، ولم تظهر تلك الاثار بصورة واضحة قبل عهد الوالي مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢) [٦٠] .

يتضح مما تقدم ان الاصلاحات العثمانية في الولايات العربية اصطدمت بالثورات والعناصر الرجعية، التي اثرت على سير الاصلاحات وعملية تطبيقها من قبل المصلحين، الذين كانوا يتهمون بالمروق عن الدين.

ملامح تجربة مدحت باشا الاصلاحية في العراق (١٨٦٩-١٩٧١):

يعد مدحت باشا (١٨٢٢-١٨٨٤) من اوائل المصلحين الذين كافحوا في سبيل انشاء حكم دستوري يحل محل الحكم الاستبدادي القائم انذاك في الدولة العثمانية [٦١]. ولد في استانبول وتثقف بالثقافة الاوربية [٦٢]. وكانت له مكانة مميزة في الحياة الاصلاحية والتنظيمات الخيرية ، ويرجع اليه الفضل في اصدار اول دستور للدولة العثمانية عام ١٨٧٦، وكان دوره الاصلاحي كبير في البلاد العربية [٦٣] اذ عمل والياً على ولاية الدانوب خلال الفترة المحصورة من عام ١٨٦٠ حتى ١٨٦٩، طبق خلالها قانون تنظيم الولايات لسنة ١٨٦٤، كما ادخل النظام الانتخابي في ادارة الولاية، فضلاً عن اعمال اصلاحية اخرى تم انجازها بنجاح خلال تلك الحقبة [٦٤].

وصل مدحت باشا إلى مدينة بغداد في ٣٠ نيسان ١٨٦٩، مصطحباً معه عدداً من الموظفين الذين اختارهم بنفسه لمساعدته في ادارة شؤون الولاية، واصلاح اوضاعها وإعادة ترتيب نظامها الاداري ، وقد دام حكمه في بغداد قرابة ثلاث سنوات[٦٥]، ولا شك ان ماضيه كان يشير إلى انه قد جاء من اوروبا إلى ولاية بغداد كي يبدأ عملاً اصلاحياً، في الوقت الذي منح فيه مدحت باشا صلاحيات استثنائية ، فكان والياً وقائداً للفيلق السادس، وبذلك امتلك السلطتين المدنية والعسكرية في الولاية، ومما جاء في الامر السلطاني المتعلق بتعيين مدحت باشا والياً على بغداد، هو لزيادة الثروة الاقتصادية للولاية، بواسطة تشجيع الزراعة والتجارة واستتباب الامن والسلم بواسطة تطبيق الشرع والقانون، وإعادة تنظيم وتحسين الجيش الامبراطوري السادس في العراق ، هذا فضلاً ع اتباع سياسة صداقة مع ايران وتقديم تسهيلات للتجار والزوار الايرانيين ، اما من جهته (مدحت باشا) فقد اشار في احتفالاً اقيم بمناسبة وصولهِ، إلى رغبته الصادقة بتحقيق

الرخاء والسعادة لعموم المواطنين دون تمييز ، مؤكداً على ترك الكسل واتباع طريقة الامم المتقدمة [٦٦] .

استند مدحت باشا إلى قانون الولايات العثمانية لسنة ١٨٦٤ لتنظيم ادارة البلاد ، فعرف العراق لاول مرة في العصر الحديث تنظيماً محكماً ارتبطت بواسطته انحاء العراق كافة بمراكز ادارية رئيسية هي النواحي ثم الاقضية ثم السناجق ، والتي تشكل تنظيمات اوسع هي الولايات، وقد جرى تنظيم البلاد على اساس وجود ثلاث ولايات هي بغداد والموصل والبصرة ، وكانت تلك الاجراءات كفيلة بخلق ادارة مركزية منظمة يكون مركزها بغداد ، وبموجب تلك التطورات تشكلت المجالس المحلية شبه منتخبة في كل وحدة ادارية ، وكان مجلس الولاية يتألف من الوالي وعدد من الاعضاء بعضهم من الاهالي والبعض الاخر من كبار الموظفين التنفيذيين ، كما اوجدت مثل تلك المجالس فقد اصبح لكل ولاية موظفون مختصون بأمور المحاكم والشرطة والكمارك، كما ارتبطت الولاية بجيش عثماني يرأسه الوالي او قائد عسكري مستقل ، وبقت تلك المجالس تمارس اعمالها لحين الاحتلال البريطاني عام ١٩١٧[٦٧] .

اشرف مدحت باشا بنفسه على تنظيم امور الادارة في الاحساء ونجد وسواحل الخليج العربي حينما وصلها اواخر عام ١٨٧١، عقب نجاح الحملة العسكرية التي ارسلها إلى هناك، فكون سنجقاً تابعاً لولاية بغداد اسماه سنجق الاحساء، الذي ضم عدد من النواحي والاقضية ، ومن المفيد ان نشير إلى ان سنجق الاحساء قد تبدل اسمه إلى سنجق نجد في اواخر سبعينات القرن التاسع عشر ، وقد داب مدحت باشا على التجوال في عدد من الولايات، للوقوف بنفسه على سلامة تنفيذ مواد نظام الولايات، والتأكد من حسن سير اداء الجهاز الاداري الحكومي [٦٨] ، ولتدعيم أسس الادارة الحكومية وتطبيق انظمة واصلاحات عهد التنظيمات، قام مدحت باشا بأخضاع العشائر الثائرة [٦٩]، منها عشائر شمر وعشائر منطقة الهندية وعشائر عفك وغيرها، وقد استطاع الانتصار على الاخيرة بعد تمرد كبير اعلنته ضد الحكومة، بسبب الضرائب وقيامها بقتل متصرف سنجق الحلة الذي حاول جمع الضرائب المستحقة للدولة، الامر الذي دعا مدحت باشا لقيادة حملة عسكرية، لسحق ذلك التمرد او الهياج العشائري ان صح التعبير في واقعة عرفت بـ(واقعة الدغارة) او (مذبحة المتصرف)[٧٠].

حرص مدحت باشا على الاخذ بمبدأ الفصل بين السلطات التنفيذية والقضائية وانشاء ديوان تمييز للنظر في الدعاوى القانونية المستأنفة، اما على صعيد الاصلاح العسكري فقد سعى مدحت باشا في هذا الجانب إلى تبديل العناصر الاجنبية بافراد عراقية

، وطبق نظام القرعة في اختيار المكلفين بالخدمة العسكرية، ولكنه تجنب تطبيقها بين القبائل خشية اثارة شكوكها بنوايا الحكومة، مفضلاً ان يتم التجنيد بين سكان المدن وما حولها ، ولم يتردد في استخدام القوة لغرض فكرة التجنيد[٧١]، كما جرى الاهتمام بالتنظيمات الضبطية (الشرطة) فازداد عدد افرادها من الخيالة والمشاة، مثلما ازدادت اعداد افراد الجيش[٧٢]. الامر الذي ادى إلى الاهتمام بالخدمات الخاصة منها على سبيل المثال انشاء معمل للنسيج [٧٣] ، ومعمل للطحين واعداد الثكنات وورش خاصة للمعدات، فضلاً عن معامل لصنع البارود، وتأسيس مدرستان عسكريتان (متوسطة اعدادية) لتخريج الضباط وكانت الدراسة فيها مجانية [٧٤] ، ويمكن حصر اهم الاعمال الاخرى التي قام بها الوالي مدحت باشا في ولاية بغداد ما يأتي :

١- لغرض تسجيل العقارات واصدار وثائق التملك (السندات) اسس مدحت باشا دائرة الطابو في بغداد، وشكلت لجنة لتسوية الاراضي (اقتصر عملها على منطقة الفرات الاوسط وولاية البصرة)، وفي الوقت الذي عمد إلى معالجة مشكلة ملكية الارض تم بيع اراضي واسعة من اراضي الحكومة (اميرية) باقساط سهلة الدفع [٧٥] .

٢- اصلاح النظام المالي للولاية والغاء بعض الرسوم والضرائب المحلية [٧٦] .

٣- الاهتمام بطرق المواصلات ووسائطها ، اذ تم فتح عدد من الطرق البرية ونظم اعمال الادارة النهرية ، وزاد من عدد بواخرها ، كما تم انشاء معملاً لاصلاح السفن في البصرة ، وراحت الادارة العامة تسير السفن في نهري دجلة والفرات بعد ان قام بكري الانهار، ومن مشاريعه الاخرى في حقل المواصلات انشاء تراموای بين بغداد والكاظمية [٧٧] ، اذ انجز المشروع على مدى سنة كاملة ، ووصلت عرباته من بريطانيا وتم افتتاحه عام ١٨٧١[٧٨].

٤- في ميدان الطباعة والصحافة تمكن مدحت باشا من تأسيس مطبعة اليه (مطبعة الولاية) في بغداد ، واصدر اول صحيفة رسمية بأسم (الزوراء) [٧٩] في ١٥ حزيران ١٨٦٩ ، والتي كانت تصدر مرتين في الاسبوع باللغة العربية والتركية، واستمرت بالصدور حتى الاحتلال البريطاني لبغداد عام ١٩١٧ [٨٠] ، وقد اسهمت تلك الجريدة في بث الوعي الثقافي والعلمي بين قراءها، وشجعت ارباب القلم على مراسلتها، ثم راحت تقارن في مقالاتها بين التعليم في المدارس الحكومية وبين الكتاتيب ، وتحث مجلس المعارف بغية اصلاح التدريس وتطويره وغيرها من الانشطة، التي تناولتها الزوراء في مقالاتها من جهة ثانية بدأ

العراقيون يقرأون صحف ومجلات عربية، للتعرف على التيارات الفكرية والفلسفية والاقتصادية التي راجت في البلاد العربية، منها على سبيل المثال مجلة الهلال المصرية وغيرها [٨١] .

٥- بناء مستشفى عام في الجانب الغربي من مدينة بغداد ، عن طريق جمع التبرعات من الاهالي ، سميت ب(مستشفى الغرباء) وقد هيأ لها الوالي الاطباء والادوية اللازمة ، فضلاً عن اقامة متنزها عاماً في بغداد ومزارع انموذجية [٨٢] .

٦- قام مدحت باشا ببناء مدينتي الناصرية والرمادي في العراق، واعمال اخرى كثيرة للاصلاحية العثمانية في العراق الحديث، واقترن اسمه باسم العراق خلال القرن التاسع عشر [٨٣] ، الا ان البعض حمله فشل عدد من المشاريع منها مشاريع الري واصلاح الانهار ، كما سجل عهده تفاقماً لعدد الملاكين واستحواذهم على مقاطعات زراعية كبيرة [٨٤] ، واشار بعضهم ايضاً إلى ان اعماله اتسمت بالتسرع وسوء التخطيط وزراعة بالنفقات [٨٥].

بقى ان نشير في هذا الصدد إلى انه ليس من السهل القيام باصلاحات كتلك التي قام بها مدحت باشا في بغداد دون ان تواجه باعتراض عبرت عنه الوجاهات او الزعامات البدوية والشيوخ بسذاجة، وبدت تلك الاصلاحات محدودة الاثر، بسبب ما اعترضتها من عوامل تاتي من بينها صعوبة المواصلات ومشاكل الجهل، فضلاً عن الفوارق المذهبية والطائفية، التي عمقت من التبيان الاجتماعي لطبيعة المجتمع انذاك [٨٦] .

استقال مدحت باشا من منصبه احتجاجاً على تصرفات بعض السياسين فقبلت استقالته ، ليعود بعد فترة والياً على دمشق (١٨٧٨-١٨٨٠) وكان لوجوده دوراً لا ينكر في نهضتها [٨٧] ، وقد تعاقب على ولاية بغداد سبعة وعشرون والياً في المدة الواقعه بين عامي ١٨٦٩-١٩١٧ .

وحتى تكتمل صورة الاوضاع في العراق، نرى من المناسب الاشارة إلى ظهور متغيرات جديدة طرأت على الحياة في بغداد، كان من بين اسبابها التحولات البارزة في الاقتصاد العراقي وارتباطاته الخارجية، التي افضت إلى حدوث تغيرات في الطبيعة العقلية لبعض رجالات العراق[٨٨]، وتوسع التجارة الخارجية، الامر الذي انعكس على ارتفاع عدد السفن الواصلة إلى العراق عن طريق البصرة [٨٩] وتضاعفت الصادرات العراقية فضلاً عن زيادة معدلات النمو التجاري والارتباط بالسوق العالمية [٩٠].

ادى النمو التجاري خلال تلك الحقبة إلى تأسيس مصارف في العراق، اسهمت في زيادة التعامل النقدي ، وفتحت البنوك فروع ثانوية لها في بغداد ، منها البنك الشاهي الامبراطوري الايراني عام ١٨٩٠ والبنك السلطاني العثماني سنة ١٨٩٣، فضلاً عن البنك الشرقي برأسمال بريطاني [٩١].

وفي بداية القرن العشرين حفزت العوامل الاقليمية (المشروطية في ايران، إعادة العمل بالدستور العثماني) يقظه المثقف العراقي وتحسسه بواقعه، الامر الذي اسفر عن متغيرات واضحة المعالم، ساهمت فيها شريحة مهمة من النخبة المثقفة البغدادية، التي كانت خلاصة ما افرزته طبقة العلماء والادباء القديمة المتزحزحة عن المألوف العثماني والمتواتر ، بينما كانت هناك شريحة اخرى، خلاصة ما افرزته الطبقة البورجوازية التجارية، والتي ذهب ابناؤها إلى استانبول للدراسة في المعاهد العليا، والتي انخرط القسم الاكبر منهم في سلك العسكرية ، وبمرور الزمن وبتأثير مباشر لتطورات الاحداث في العراق برزت قوة اجتماعية جديدة عرفت بالانتلجينسيا الجديدة [٩٢] ، وكانت في بداياتها الاولى ، واحتل عدد من ابناء الطبقة الموسرة في بغداد مواقع مهمة في الدولة العراقية الحديثة، بعد اتمام دراستهم الاولية في مجالات كان ابرزها الطبية والحقوق ، وقد تحققت للبعض منهم الفرصة لاغناء ثقافته او اكمال دراسته في المعاهد الاوربية او الجامعة الامريكية في بيروت، عادوا بعدها إلى بغداد ليسهموا في التحرك الثقافي على نحو فاعل ، وبدأ على بعض افراد النخبة العراقية المثقفة انذاك تفوقاً في الممارسات السياسية الاصلاحية، اكثر من اسهامها في عمليات التغيير الاجتماعي التحديثي ، وذلك لان الظروف والاجواء السياسية كانت مشحونة بالتطورات المصيرية، وعمليات انتقال متعددة في انظمة الحكم والحرب وسقوط الدولة العثمانية ثم الاحتلال البريطاني[٩٣].

الخاتمة:

نستنتج من خلال بحثنا هذا ان تطوراً واضحاً قد لحق مرافق الدولة العثمانية نتيجة تطبيقها لعدد من القوانين الادارية والبلدية، والتي اصبحت بمثابة تحولات تأثير كبير لو لم يساء استخدامها في اعطاء فرصة لرعايا الدولة لبناء مؤسساتهم وفق الخطط الحديثة، بعد تدريبهم على الممارسات الحرة ومراعاة الانظمة وتطوير الاصلاحات .

شهد العراق تلك الاصلاحات حين تولى مدحت باشا أمره للفترة من ١٨٦٩ حتى ١٨٧٢، الا انها بدت محدودة الاثر، وذلك بسبب صعوبة المواصلات والتباين الاجتماعي لطبيعة وحالة المجتمع انذاك .

وبرز واضحاً تصادم التيارات الفكرية الحديثة مع حالات قديمة باقية، مثلتها الانقسامات المتنوعة والاقطاعية والفئات غير المتعلمة، فضلاً عن الحكم المطلق وامراض المجتمع من محسوبية ومنسوبية ومصالح خاصة، كلها عوامل اضعفت الجهاز الاداري العثماني، وحالت دون تقدم الاصلاحات ، فضلاً عن معارضة رجال الدين والفئات الرجعية والمؤسسات الوقفية وغيرهم ممن اعدوا الاصلاحات تقليداً للاوربيين واقتباساً لنظامهم واعرافهم، وبهذه الصورة فهي عندهم مخالفة للشرع والاسلام ، ومن جهة ثانية فان حركة التنظيمات العثمانية لم تحقق جميع الاماني التي تطلع لها المصلحون، بل كانت الباب التي مارس عبرها الاوربيون الضغط على الدولة العثمانية للتدخل في شؤونها، كلها كانت اسباب ابقت المجتمع على تأخيره إلى حين.

وختاماً نجد من الضروري القول بان هناك جوانب عديدة من هذا الموضوع تحتاج إلى دراسة واهتمام اعمق مما هو عليه، لتحقيق الهدف العلمي التاريخي، وفهم اوسع لجوانب عديدة من تاريخ تلك الحقبة.

الهوامش والمصادر :

١. سيار كوكب علي الجميل ، تكوين العرب الحديث ١٥١٦-١٩١٦، ط١، دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ، ١٩٩١، ص ١٣٥-١٣٦ .
٢. عبد الوهاب القيسي " حركة الاصلاح في الدولة العثمانية وتأثيرها في العراق ١٨٣٩-١٨٧٧" ، مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، العدد الثالث ، كانون الثاني ، ١٩٦١، ص ١١١.
٣. عبد العزيز الدوري ، التكوين التاريخي للامة العربية (دراسة في الهوية والوعي) ، ط١، مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ١٢٤ .
٤. ينظر الموقع على الانترنيت Islamonline.net.
a. وعلى العنوان : التنظيمات العثمانية ، احياء الخلافة ام تغريبها ،ص٢-٦، وسيتم الاشارة اليه بالتنظيمات العثمانية في حال ورودها مرة ثانية في صفحات البحث .
٥. عبد الوهاب القيسي ، المصدر السابق ، ص ١١١ .
٦. محمد حسن العيدروس ، تاريخ العرب الحديث ، دار الكتاب الحديث ، الكويت ، ٢٠٠٠، ص ١٨٣ .
٧. سيار كوكب علي الجميل ، المصدر السابق ، ٣٢٦ .
٨. عبد الوهاب القيسي ، المصدر السابق ، ص ١١٢ .
٩. سيار كوكب علي الجميل ، المصدر السابق ٣٢٧.

١٠. محمد عبد اللطيف البحراوي ، حركة الاصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ١٨٠٨-١٨٣٩ ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٩٤-٩٥ .
١١. سيار كوكب علي الجميل ، المصدر السابق ، ص ٣٢٧ .
١٢. التنظيمات العثمانية، ص٢-٦.
١٣. خالد زيادة ، اكتشاف التقدم الاوربي – دراسة في المؤثرات الاوربية على العثمانيين في القرن الثامن عشر، ط١ ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٣٥ .
١٤. جميل موسى النجار ، الادارة العثمانية في ولاية بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠١ ، ص ٢٣ .
١٥. عبد العزيز الدوري ، المصدر السابق ، ص ١٣١ .
١٦. التنظيمات العثمانية ، ص٢-٦.
١٧. سار كوكب علي الجميل ، المصدر السابق ، ص ٣٢٩ .
١٨. عبد الوهاب القيسي ، المصدر السابق ، ص ١١٢ .
١٩. ابراهيم خليل احمد وخليل علي مراد ، ايران وتركيا دراسة في التاريخ الحديث والمعاصر ، دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ، ١٩٩٢ ، ص ١٢٣ .
٢٠. وكان من بين من وقف وعارض تلك الاصلاحات شيخ الاسلام محمد منيب ، وقاضي اسطنبول مراد زادة اذ عدوها بدعة وتقليداً للكفار ، المصدر نفسه ، ص ١٢٣ .
٢١. سيار كوكب علي الجميل ، المصدر السابق ، ص ٣٣٣ .
٢٢. التنظيمات العثمانية ، ص٣-٦.
٢٣. محمد كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، دار الثقافة ، القاهرة، ١٩٧٦ ، ص ١٠٩ .
٢٤. عبد الوهاب القيسي ، المصدر السابق ، ص ١١٢ .
٢٥. سيار كوكب علي الجميل ، المصدر السابق ، ٣٣٤ .
٢٦. للمزيد من التفاصيل ينظر : محمد كمال الدسوقي ، المصدر السابق ، ص ١١٤ – ١١٦ و ابراهيم خليل احمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني١٥١٦-١٩١٦، جامعة الموصل، ١٩٨٦، ص١٨٤.
٢٧. عبد العزيز الدوري ، المصدر السابق ، ١٣١ .
٢٨. عبد الوهاب القيسي ، المصدر السابق ، ص ١١٣ .
٢٩. عبد العزيز الدوري ، المصدر السابق ، ١٣١ .
٣٠. عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٧ ، بغداد ، ١٩٥٥ ، ص ٢٨٥ ، تم انهاء نفوذ الاسرة القرمانية في طرابلس الغرب سنة ١٨٣٥ ، وعلى الشهابين في جبل لبنان سنة ١٨٤١ ، ولكنه فضل في مصر لتفرد محمد علي باشا بالسلطة هناك ، ولم تمكنه الظروف في تحقيق ذلك في سوريا ، كما انهار حكم الدايات في الجزائر اثر الاحتلال الفرنسي لها ، للمزيد من التفاصيل ينظر : عبد العزيز الدوري ، المصدر السابق ، ١٣١ ، سيار كوكب علي الجميل ، المصدر السابق ، ص ٣٣٧ .
٣١. التنظيمات العثمانية ، ص٣-٦.
٣٢. كانت الوحدات الادارية الكبيرة التي انقسمت اليها الدولة العثمانية تسمى بـ (الايالات) تعرف بالولايات . جميل موسى النجار ، المصدر السابق ، ص ١٩ .
٣٣. عبد الوهاب القيسي ، المصدر السابق ، ص ١١٣ .
٣٤. للمزيد من التفاصيل ينظر : جميل موسى النجار ، المصدر السابق ، ص ١٦ .

٣٥. ستيفن هيمسلي لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة . جعفر الخياط ، ط٦ ، مطبعة اركان ، بغداد ، ١٩٨٥، ص ٣٣٦ . اطلق اسم التنظيمات على الحركة الاصلاحية التي قامت في الدولة العثمانية منذ صدور مرسوم كولخانه عام ١٨٣٩ حتى اعلان الدستور العثماني الذي عرف بـ (القانون الاساسي) سنة ١٨٧٦ .

٣٦. التنظيمات العثمانية، ص٣-٦.

٣٧. نقلاً عن : جميل موسى النجار ، المصدر السابق ، ص ٢٦

٣٨. التنظيمات العثمانية ص٣-٦.

٣٩. المصدر نفسه ص٣-٦.

٤٠. ابراهيم خليل احمد ، خليل علي مراد ، المصدر السابق ، ص ١٥٣ .

٤١. عماد احمد الجواهري ، تاريخ مشكلة الاراضي في العراق ودراسة في التطورات العامة ١٩١٤-١٩٣٢، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ٢٧ .

٤٢. للمزيد من التفاصيل عن ابرز بنود خط شريف كولخانه ينظر : سيار كوكب علي الجميل ، المصدر السابق ، ص ٣٤٠ .

٤٣. التنظيمات العثمانية ص٥.

٤٤. سيار كوكب علي الجميل ، المصدر السابق ، ص ٣٤١ .

٤٥. التنظيمات العثمانية ص٤.

٤٦. للمزيد من التفاصيل ينظر : الموقع على الانترنيت www.uiuminsania.com وعلى العنوان الاتي : طالب محيبس حسن الوائلي ، حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦) قراءة في اسبابها ونتائجها ، ص ١-١٩ .

٤٧. للمزيد من التفاصيل ينظر : جميل موسى النجار ، المصدر السابق ، ص ٣٣-٥٣ .

٤٨. جميل موسى النجار ، المصدر السابق ، ص ١١٣ .

٤٩. المصدر نفسه ، ص ٤١ .

٥٠. عبد الوهاب القيسي ، المصدر السابق ، ص ١١٣ .

٥١. التنظيمات العثمانية ص٥.

٥٢. جميل موسى النجار ، المصدر السابق ، ص ٤٧ ، اثارت القوانين الاصلاحية ازمات حقيقية في بلاد الشام ، اذا فسرت بعض المراسيم الاصلاحية على انها تنادي بمساواة الفلاحين وتحريرهم من الاعراف الاقطاعية ، فظهر الاستياء العام وازداد الابتزاز حتى انفجرت الاحداث بتدخل جهات خارجية ، للمزيد من التفاصيل ينظر : محمد عبد الرحمن برج ، دراسة في التاريخ العربي الحديث والمعاصر ظو مكتبة الانجلو المصرية ، مصر ، ١٩٧٤ ، ص ٥٨-٦٤ .

٥٣. عماد احمد الجواهري ، المصدر السابق ، ص ٢٨-٣٠ . قسمت الاراضي بموجب القانون إلى خمسة انواع هي : الاراضي المملوكة للافراد (ملك اصرف) ، والاراضي الاميرية ، واراضي الوقف ، والاراضي المتروكة ، واراضي الموات .

٥٤. محمد عصفور سلمان ، العراق في عهد مدحت باشا (١٢٨٦-١٢٨٩هـ) – (١٨٦٩-١٨٧٢هـ) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، ١٩٨٩، ص ٢٥ .

٥٥. حسين القهواتي ، دور البصرة التجاري في الخليج العربي ١٨٦٩-١٩١٤ ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٨٧-٨٨ .

٥٦. متي عقراوي ، العراق الحديث ، ترجمة مجيد خدوري ، ج١ ، مطبعة العهد ، بغداد ، ١٩٣٦ ، ص ١٢٨ .

٥٧. التنظيمات العثمانية ، ص٣-٦.

٥٨. عبدالعزيز الدوري، المصدر السابق، ص١٣٢-١٣٥.

٥٩. ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص٣٢٧.

٦٠. جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص٤٨.
٦١. عبدالوهاب القيسي، المصدر السابق، ص١١٧.
٦٢. ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص٣٥٨.
٦٣. سيار كوكب علي الجميل، المصدر السابق، ص٣٦٥.
٦٤. جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص١٣٢.
٦٥. المصدر نفسه، ص١٣٥.
٦٦. عبدالوهاب القيسي، المصدر السابق، ص١١٨.
٦٧. علاء موسى كاظم نورس وعماد عبدالسلام رؤوف، (عهد الاحتلال العثماني الاخير) العراق في التاريخ، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٣، ص٦٤٢–٦٤٣.
٦٨. جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص١٣٨.
٦٩. المصدر نفسه، ص١٤٠؛ عبدالوهاب القيسي، المصدر السابق، ص١٢١.
٧٠. جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص١٤٠ ؛ محمد عبدالرحمن برج، المصدر السابق، ص٨٤.
٧١. من المفيد ان نشير إلى ان تاسيس الجيش العثماني الجديد في العراق يعود إلى سنة ١٨٤٨، إذ اصبح يسمى بالجيش الامبراطوري السادس، وعلى الرغم من وجود عدد من المتطوعين المحليين فيه، الا ان الاكثرية كانوا من غير العراقيين وجميع ضباطه من الاجانب، للمزيد من التفاصيل ينظر : عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٦، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٥٤، ص٣٣٢؛ عبدالوهاب القيسي، المصدر السابق، ص١١٩–١٢٠.
٧٢. جاسم محمد حسن، العراق في العهد الحميدي ١٨٧٦–١٩٠٩، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، ١٩٧٥، ص٣٤.
٧٣. لا يمكن اعتبار تلك المعامل التي جلبها بعض الولاة العثمانيين بداية حركة صناعية واسعة في العراق، إذ لم يشهد العراق اي تقدم ملموس خلال العهود المتأخرة، لان معظم تلك المعامل قد جلبت لاغراض خاصة تتعلق بعضها بخدمة الجيش، وقد تعطل معظمها بعد فترة ولم يعد في العراق الا الصناعات اليدوية القائمة على سد المتطلبات الضرورية، طارق نافع الحمداني، ملامح سياسية وحضارية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية للموسوعات، ط١، بيروت، ١٩٨٩. ص١٦٦.
٧٤. علاء موسى كاظم نوري، وعماد عبدالسلام رؤوف، المصدر السابق، ص٦٤٣.
٧٥. عبدالوهاب القيسي، المصدر السابق، ص١٢٢.
٧٦. جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص١٤٢.
٧٧. محمد عبدالرحمن برج، المصدر السابق، ص٨٥.
٧٨. نمير طه ياسين، بدايات التحديث في العراق ١٨٦٩–١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، بغداد، ١٩٨٤، الخلاصة.
٧٩. رفائيل بطي، صحافة العراق، ج١، اعداد سامي رفائيل بطي، مطبعة الاديب البغدادية المحدودة، بغداد، ١٩٨٥، ص٩–١٠.
٨٠. سيار كوكب علي الجميل، المصدر السابق، ص٣٦٨؛ جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص١٤٣.
٨١. طارق مجيد تقي العقيلي، الدكتور ناجي الاصيل دبلوماسياً رائداً ومفكراً حضارياً، دار الحكمة، بغداد، ٢٠٠٢، ص٢٧.
٨٢. جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص١٤٣.
٨٣. ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص٣٦٠.
٨٤. سيار كوكب علي الجميل، المصدر السابق، ص٣٦٨.

٨٥. جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص١٤٤.

٨٦. محمد عزت دروزه، مشاكل العالم العربي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، د.ت، ص١٤.

٨٧. محمد عبدالرحمن برج، المصدر السابق، ص٨٤. تولى مدحت باشا الصدارة العظمى في عهد السلطان عبدالعزيز بعد عودته إلى الاستانة من بغداد في سنة ١٨٧٢، وكان له الفضل في صياغة الدستور العثماني، كما شغل عدة مناصب سياسية وادارية، توفى في سجنه عام ١٨٨٤؛ جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص١٤٧.

٨٨. عماد احمد الجواهري، نادي المثنى وواجهات التجمع القومي في العراق ١٩٣٤–١٩٤٢، ط١، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨٤، ص٨.

٨٩. جيمس بكنغهام، رحلتي إلى العراق١٨١٦. ترجمة سليم التكريتي، منشورات المجمع العلمي العراقي، ج١، بغداد، ١٩٦٩، ص٢٠٥.

٩٠. فلاديمير ب.لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية الحديثة، ترجمة، عفيفة البستاني، دار التقد، موسكو، ١٩٧١، ص٧٥.

٩١. نمير طه ياسين، المصدر السابق، ص١٤٠.

٩٢. الانتلجينسيا : (الفئة المثقفة) وهو مصطلح تم تداوله منذ اواخر القرن التاسع عشر، ومشتق بالاصل من الكلمة اللاتينية (Intellegens) التي تعني الموهوب والقدير والفاهم، واصبحت تطلق كمصطلح اجتماعي على ابناء تلك الفئة من الشعب الذين يتخصصون في مجال العمل والانتاج الفكري، ومع ظهور العلاقات الرأسمالية وتكون البروجوازية، حدث تحول نوعي وكمي بالنسبة للطبقة المثقفة فظهرت الانتلجينسيا البورجوازية، والذي كان اغلب الانتماءات الاجتماعية لابنائها تعود لفئات اجتماعية دنيا، للمزيد من التفاصيل ينظر : كمال مظهر احمد، صفحات من تاريخ العراق المعاصر (دراسات تحليلية)، منشورات مكتبة البدليسي، ط١، بغداد، ١٩٨٧، ص٣٠.

٩٣. طارق مجيد تقي العقيلي، المصدر السابق، ص٣٠.

List of sources:

1. The car of the beautiful planet Ali, the formation of modern Arabs 1516-1916, I 1, book House for Printing and publishing, Mosul, 1991, pp 135-136.

2. Abdulwahab al-qaisi "Reform movement in the Ottoman Empire and its impact in Iraq 1839-1877 ", Journal of Faculty of Arts, University of Baghdad, third issue, January, 1961, p. 111.

3. Abdulaziz al-Douri, the historical composition of the Arab nation (study in Identity and consciousness), I 1, Center for Arab Unity Studies, Beirut, 1984, p. 124.

4. The website is viewed on the Internet. Islamonline.net

A. On the title: Ottoman organizations, creative Revival or Westernization, p. 2.6, the Ottoman organizations will be referred to if they are received again on the search pages.

5. Abdulwahab al-Qaisi, former source, p. 111.

6. Mohammed Hasan al-Aedros, modern Arab history, modern book House, Kuwait, 2000, pp. 183.

7. Car Planet Ali Gemayel, previous source, 326.

8. Abdulwahab al-Qaisi, former source, p. 112.

9. The beautiful planet Ali, the previous source 327.

10. Mohammed Abdullatif al-Bahrawi, Ottoman reform movement in the era of Sultan Mahmud II 1808-1839, Cairo, 1978, pp. 94-95.

11. Car Planet Ali Gemayel, previous source, p. 327.
12. Ottoman regulations, pp. 2-6.
13. Khaled increase, discovery of European progress-study in European influences on the Ottomans in the 18th century, I 1, Beirut, 1981, p. 35.
14. Jamil Mousa al-Najjar, Ottoman administration in Baghdad state, House of General Cultural Affairs, Baghdad, 2001, p. 23.
15. Abdulaziz al-Douri, previous source, p. 131.
16. Ottoman regulations, pp. 2-6.
17. Delightful Planet Ali Gemayel, previous source, p. 329.
18. Abdulwahab al-Qaisi, former source, p. 112.
19. Ibrahim Khalil Ahmed and Khalil Ali Murad, Iran and Turkey study in modern and contemporary history, book House for Printing and publishing, Mosul, 1992, p. 123.
20. Among those who stopped and opposed the reforms were Shaykh al-Islam Muhammad Mounib, and the judge of Istanbul Mourad Zadeh, who was the enemy of heresy and a tradition of infidels, the same source, p. 123.
21. Car Planet Ali Gemayel, previous source, p. 333.
22. Ottoman organizations, pp. 3-6.
23. Mohamed Kamal El Desouky, Ottoman State and Eastern question, Dar al-Culture, Cairo, 1976, p. 109.
24. Abdulwahab al-Qaisi, former source, p. 112.
25. Car Planet Ali Gemayel, previous source, 334.
26. For more details see: Mohamed Kamal El Desouky, former source, p 114 – 116 and Ibrahim Khalil Ahmed, history of the Arab world in the Ottoman period 1516-1916, University of Mosul, 1986, p. 184.
27. Abdulaziz al-Douri, previous source, 131.
28. Abdulwahab al-Qaisi, former source, p. 113.
29. Abdulaziz al-Douri, previous source, 131.
30. Abbas al-Azzawi, history of Iraq between two occupations, C 7, Baghdad, 1955, p. 285, the influence of the Qarmaneh family was terminated in the western Tripoli in 1835, and on the al-Shehab in Mount Lebanon in 1841, but he preferred in Egypt to the uniqueness of Muhammad Ali Pasha in power there, and circumstances did not enable , as the reign of the Dayat in Algeria collapsed following the French occupation, for more details see: Abdulaziz al-Douri, former source, 131, Ali Al Jamil Planet, former source, p. 337.
31. Ottoman regulations, pp. 3-6.
32. The large administrative units divided by the Ottoman Empire were known as the States. Jamil Mousa al-Najjar, former source, p. 19.
33. Abdel Wahab Al Kaissi, previous source, p. 113.
34. For more details viewed: Jamil Mousa al-Najjar, former source, p. 16.
35. Stephen Hemlesloncreek, four centuries of modern Iraq history, translation. Jafar al Khayat, 6th Floor, Arkan Press, Baghdad, 1985, p. 336. The organization was named after the reformist movement in the Ottoman Empire since the promulgation of the Kolkhanam decree in 1839 until the proclamation of the Ottoman constitution, known

as the Basic Law, in 1876.
36. Ottoman organizations, pp. 3-6.
37. Quoting: Jamil Musa al-Najjar, Previous source, pp. 26 38. Ottoman organizations, pp. 3-6.
39. Ibid., pp. 3-6.
40. Ibrahim Khalil Ahmed, Khalil Ali Murad, previous source, p. 153.
41. Imad Ahmed Jeweler, history of the land problem in Iraq and study in general developments 1914-1932, Freedom House for Printing, Baghdad, 1978, p. 27.
42. For more details on the most prominent lines of Sherif Kolkhanf's line seen: The beautiful planet Ali, the source of the preceding, p. 340.
43. Ottoman regulations P 5.
44. Car Planet Ali Gemayel, previous source, p. 341.
45. Ottoman regulations P 4.
46. For more details view: The website www.uiuminsania.com and the following address: Student Mahbes Hasan al-Waeli, War of Crimea (1853-1856) read the Aspabha and its results, p. 1-19.
47. For more details viewed: Jamil Mousa al-Najjar, Previous source, pp. 33-53.
48. Jamil Mousa Al-Najjar, previous source, p. 113.
49. Same source, p. 41.
50. Abdulwahab al-Qaisi, previous source, p. 113.
51. Ottoman regulations P 5.
52. Jamil Mousa Al-Najjar, former source, p. 47, the reform laws raise the real death in the Levant, if some of the reformist decrees interpret it as calling for the equality of the peasants and freeing them from feudal customs, the public resentment and increased extortion until the events exploded with the intervention of outside sides, For more details View: Mohammed Abdulrahman Burj, a study in modern and contemporary Arab history, the Anglo-Egyptian Library, Egypt, 1974, pp. 58-64.
53. Emad Ahmed Jeweler, previous source, p. 28-30. The land is divided by the law into five types: land owned by individuals (King of cash), princely lands, Waqf lands, abandoned lands, and the land of the estate.
54. Mohammed Asfour Salman, Iraq under Medhat Pasha (1286-1289 AH) – (1869-1872 AH), unpublished master letter, University of Baghdad, Faculty of Arts, 1989, p. 25.
55. Hussein al-Qhouati, Basra commercial role in the Arabian Gulf 1869-1914, Baghdad, 1980, pp 87-88.
56. Matthew Akrawi, modern Iraq, translation of Majid Khodori, 1st, Al Ahd Press, Baghdad, 1936, p. 128.
57. Ottoman organizations, pp. 3-6.
58. Abdulaziz League, previous source, pp. 132-135.
59. Stephen Hemleslonscreek, former source, p. 327.
60. Jamil Mousa Al-Najjar, previous source, p. 48.
61. Abdel Wahab Al Kaissi, previous source, p. 117.
62. Stephen Hemleslonscreek, former source, p. 358.

63. The beautiful planet Ali, the previous source, p. 365.
64. Jamil Mousa Al-Najjar, previous source, p. 132.
65. Same source, p. 135.
66. Abdel Wahab Al Qaisi, previous source, p. 118.
67. Alaa Mousa Kazem Nawras and Imad Abdulsalaam Raouf, (last Ottoman occupation era) Iraq in history, Freedom House for Printing, Baghdad, 1983, pp 642-643.
68. Jamil Mousa Al-Najjar, previous source, p. 138.
69. Ibid., p. 140; Abdul Wahab al-Qaisi, former source, p. 121.
70. Jamil Mousa Al-Najjar, previous source, p. 140; Mohamed Abdel Rahman Tower, previous source, p. 84.
71. It is useful to point out that the establishment of the new Ottoman army in Iraq dates back to 1848, since it became the sixth Imperial Army, and despite the presence of a number of local volunteers, the majority were non-Iraqis and all its foreign officers, for more details looking : Abbas al-Azzawi, Iraq's history between two occupations, C. 6, Trade and Printing Co. Ltd., Baghdad, 1954, p. 332; Abdul Wahab al-Qaisi, previous source, p. 119-120.
72. Jassim Mohammed Hasan, Iraq in the reign of Hamidi 1876-1909, unpublished master letter, University of Baghdad, Faculty of Arts, 1975, p. 34.
73. These factories, which were brought by some Ottoman governors, cannot be considered the beginning of a large-scale industrial movement in Iraq, since there has been no significant progress in Iraq during the late eras, since most of those factories were brought for special purposes, some of them in the service of the army, most of which were disrupted after a period and in Iraq only industries Manual based on the necessary requirements, Tariq Nafea al-Hamdani, political and civilizational features in the history of modern and contemporary Iraq, the Arab Renaissance House of encyclopedias, I 1, Beirut, 1989. P. 166.
74. Alaa Mousa Kazem Nouri, Emad Abdulpeace Raouf, former source, p. 643.
75. Abdel Wahab al Kaissi, previous source, p. 122.
76. Jamil Mousa Al-Najjar, previous source, p. 142.
77. Mohamed Abdel Rahman Tower, previous source, p. 85.
78. Nameer Taha Yassin, the beginnings of modernization in Iraq 1869-1914, unpublished master thesis, University of Mustansiriyah, College of Education, Baghdad, 1984, summary.
79. Rafael Butti, Iraqi Press, C 1, preparation of Sami Raphael Butti, Al Adeeb al-Baghdadi printing press, Baghdad, 1985, p. 9-10.
80. Ali Al Jamil Planet, previous source, p. 368; Jamil Mousa al-Najjar, previous source, p. 143.
81. Tarek Majeed Taqi Aqili, Dr. Naji Al Aseel, a leading diplomat and cultural thinker, Dar al Hekma, Baghdad, 2002, p. 27.
82. Jamil Mousa Al-Najjar, previous source, p. 143.
83. Stephen Hemleslonscreek, previous source, p. 360.
84. The beautiful planet Ali, the former source, p. 368.

85. Jamil Mousa Al-Najjar, previous source, p. 144.
86. Mohammed Ezzat Darwazeh, Arab World social, economic and political problems, Arab awakening for authorship, translation and publishing, Beirut, D. T, p. 14.
87. Mohamed Abdel Rahman Tower, previous source, p. 84. Medhat Pasha took the lead in the reign of Sultan Abdulaziz after returning to Astana from Baghdad in 1872, and had the credit of drafting the Ottoman constitution, as he held several political and administrative positions, died in his prison in 1884; Jamil Mousa al-Najjar, former source, p. 147.
88. Emad Ahmed Jeweler, Muthanna Club and National Assembly interfaces in Iraq 1934-1942, I 1, bigeye House Press, Baghdad, 1984, p. 8.
89. James Buckingham, my trip to Iraq 1816. Translation of Salim Al Tikriti, publications of the Iraqi scientific complex, C 1, Baghdad, 1969, p. 205.
90. Vladimir B. Lutsky, history of the modern Arab countries, translation, Afbfeh al-Bustani, Dar al-Batr, Moscow, 1971, p. 75.
91. Nameer Taha Yassin, previous source, p. 140.
92. Entropy: (cultured) is a term that has been traded since the late 19th century, and is originally derived from the Latin word (intellegens), which means the gifted, the Almighty, and has become a social term for the children of that group of people who specialize in the field of work and intellectual production. With the advent of capitalist relations and the formation of the bourgeoisie, a qualitative and quantitative transformation occurred for the cultured class, and the bourgeoisie, which most of the social affiliations of its children belonged to social groups, emerged for more details to be seen: Kamal Mazhar Ahmed, pages from the history of Iraq Contemporary (analytical studies), publications of Al Badisi Bookshop, 1st, Baghdad, 1987, p. 30.
93. Tarek Majeed Taqi Aqili, former source, p. 30.